قراءة في كتاب: النعمة والسلطة

الحياة الشخصية لآل كيندي في البيت الأبيض

تأليف: سالي بيديل سميث

الناشر: راندوم هاوس بوبليشنغ غروب نيويورك ٢٠٠٥

الصفحات: ٤٩٦ صفحة من القطع الكبير

يدرس كتاب «النعمة والسلطة» الحياة الشخصية لآل كيندي في البيت الأبيض. تطلّ مؤلفته الصحافية الأميركية سالي بيديل سميث على حياة هذه الأسرة الكاثوليكية التي وصلت بطريقة دراماتيكية إلى «قدس أقداس» القرار في الولايات المتحدة ثم ما لبثت أن تهاوت كأوراق الخريف.

تبدأ المؤلفة بعرض لحياة الرئيس الراحل جون كيندي وكيف وصل إلى البيت الأبيض في سن الثالثة والأربعين حيث كان محاطاً بفسيفساء من المعاونين ورجال المخابرات، فضلاً عن الكهنة الذين لم يرُق لهم أن يصعد كاثوليكي ليحتل السلطة المرصودة بالعناية الإلهية للبروتستانت.

يعرض الكتاب المؤلّف من نحو خمسمائة صفحة إلى المحطات الأساسية الكبرى في ولاية الرئيس كيندي وهي محطات أسست للمراحل اللاحقة لسياسة أميركا الداخلية والخارجية. أبرزها في الداخل ما يتعلق بالحقوق المدنية للسود، وفي الخارج أزمة الصواريخ الكوبية في عهد الرئيس الشيوعي خروتشوف.

الفصول المتعلقة بالسياسة الخارجية بيّنت العلامات الفارقة للحرب الباردة بين أميركا والاتحاد السوفياتي السابق، خصوصاً موضوع الصواريخ التي زوّدت برؤوس نووية وباتت تتهدد الأمن القومي الأميركي بالكارثة المحقّقة.

تقول المؤلفة: إن كيندي في تلك الأزمة أثبت أنه رجل دولة بالفعل. فقد بقي رابط الجأش طيلة الأزمة، وعرف كيف يتصرف ويجبر خروتشوف على التراجع والانهزام أمامه.

ثم عاش كيندي أزمة سياسية أخرى في بداية عام ١٩٦٣. وكان ذلك بعد أن عرض قانونه عن الحقوق المدنية للسود على الكونغرس. ولكنه لم يذهب بعيداً بما فيه الكفاية، وبالتالي لم يرض السود تماماً على الرغم من حسن نواياه. فقد اكتفى بالتركيز على حق التصويت: أي حقهم في الإدلاء بأصواتهم في الانتخابات العامة.

ولهذا السبب فإن مارتن لوثر كينغ أعلن في الثالث من نيسان (أبريل) حركة العصيان المدني. ونظم السود حركات اعتصام في المقاهي والمطاعم التي ترفض دخول السود إليها أو خدمتهم إذا دخلوها. وعندئذ تدخل البوليس واعتقل حوالي المئة متظاهر. وكان من بينهم القائد الكبير مارتن لوثر كينغ نفسه.

ولكن كيندي سرعان ما طلب تحريره من السجن فوراً. ثم ألقى واحدة من أهم

خطبه السياسية بتاريخ ١١ حزيران (يونيو) ١٩٦٣.

في هذا الخطاب رأى أنه إذا ما هددت الكرامة الإنسانية لشخص واحد فإن كرامة الجميع سوف تصبح مهددة. ولا يمكننا بعد الآن أن نعامل السود وكأنهم مواطنون من الدرجة الثانية. هذا لا يليق بالأمة ولا بالشعب الأميركي. وهذا ما ترفضه الكتابات المقدسة ودستور الولايات المتحدة أيضاً.

كان كيندي حريصاً على أن يظهر أمام شعب الولايات المتحدة، وخصوصاً الأفارقة منهم على وقوفه بشدة ضد التمييز العنصري. كان يتساءل ويقول: كيف يمكن لأميركا أن تدافع عن الحرية في العالم وهي تستبعد مواطنيها السود؟ أين هي مصداقيتنا وشرفنا وكرامتنا؟ من سيصدقنا بعد الآن؟ فنحن بحاجة إلى ثورة فكرية وتشريعية إلى المساواة في الحقوق بين البيض والسود. ثم وبعد ثمانية أيام من إلقائه لهذا الخطاب التاريخي سيعرض الرئيس كيندي على الكونغرس مشروع القانون الذي يساوي بين البيض والسود للمصادقة عليه. وهو قانون يمنع أي تمييز بين المواطنين على أساس العرق، أو الدين، أو الجنس. كل تمييز من هذا النوع ممنوع في الأماكن العامة؛ أي في المدرسة، أو الجامعة، أو الفنادق، أو الباصات ووسائل النقل، أو المطاعم، أو المخازن، أو المسارح، أو قاعات الرياضة، إلخ. ومعلوم أنهم كانوا يفصلون بين البيض والسود في كل هذه الأماكن سابقاً، أو قل كانوا يمنعون السود من دخول هذه الأماكن المخصصة للبيض، وهكذا كانت لهم باصاتهم الخاصة لكيلا يزعجوا البيض بأشكالهم أو برائحتهم... وهكذا، نص القانون الذي سنه كيندي على منع التمييز العنصري منعاً باتاً. وكل من يخالف القانون يقدم للمحكمة. ثم نص القانون على المساواة في الفرص والحظوظ بين البيض والسود فيما يخص التوظيف.

على أن الجانب الأكثر إثارة للنقاش بين النخب الأميركية هو ذلك الذي تركّز عليه المؤلفة سميث، ويتعلق بالمواجهة الشخصية التي جرت بين الرئيس كيندي والزعيم الزنجي مارتن لوثر كينغ. جرى ذلك إثر مظاهرة قادها الأخير في واشنطن دفاعاً عن حق السود وكرامتهم. عندما وصل المتظاهرون إلى جوار تمثال إبراهام لينكولن في واشنطن خطب فيهم لوثر كينغ وقال: إني أحلم بأمة أميركية لا تعامل أبناءها على أساس لون بشرتهم وجلودهم وإنما على أساس أعمالهم وميزاتهم الشخصية. وعندئذٍ لا يعود هناك من تفريق بين أسود وأبيض بشكل مسبق. فإذا كان الأسود هو الأفضل من الناحية الأخلاقية والشخصية والمؤهلات

والكفاءات فينبغي أن يحظى بالمنصب وليس الأبيض.

وإذا كان العكس حصل العكس، وعندئذٍ تصبح أميركا دولة حضارية بالفعل. عندئذٍ تستحق احترام كل أبنائها بغض النظر عن أصلهم وفصلهم أو لون بشرتهم أو لون شعرهم وسحنة وجوههم.

ثم تشير المؤلفة إلى اللقاء الشهير الذي جمع لوثر كينغ بالرئيس كيندي في البيت الأبيض، فذكرت ما توجه به الأخير للزعيم الأسود وكأنه يرد على ما ورد في خطابه قائلاً:

«أنا أيضاً أحلم بأميركا خالية من التمييز العنصري. أنا أيضاً أريد لهذه البلاد أن تتقدم على طريق التحرر والنزعة الإنسانية والحضارية، فالتمييز يشوّه حضارة أميركا وتاريخها المجيد. إنه عبارة عن لطخة عار لا تليق بها».

ثم تعلق المؤلفة على ذلك فتقول: **«هذه الكلمات تدل على أن كيندي كان بالفعل رئيساً تقدمياً ومستنيراً. وإنه يؤسف جداً أن يكون قد تعرض للقتل بمثل هذه الوحشية العمياء، وربما لهذا السبب قتلوه. فاغتياله حصل بعد فترة قصيرة من هذه التطورات».**

ثم تتحدث عن مواقف كيندي الأخرى، وعن مستشاريه والجو المحيط به. وتشبّه أجواء البيت الأبيض آنذاك بأجواء باريس في عهد نابليون بونابرت.

فكيندي برأيها كان شخصية جذابة وآسرة مثل البطل الفرنسي. يُضاف إلى ذلك أن كيندي وزوجته كانا يحيطان نفسيهما بكل المثقفين اللامعين وممثلي هوليوود وكبار الفنانين.

فهذه الشخصيات المبدعة كثيراً ما كانت تُدعى إلى البيت الأبيض، وهذا دليل على أن السلطة السياسية لا يمكن أن تستغني عن السلطة الثقافية والفنية. إنها بحاجة إليها لكي تخلع عليها هالة المشروعية والحضارة والرقي.

لا شك بأن هذا الكتاب يدخل في سياق التأريخ لحقبة أميركية شديدة الحساسية على المستويين القومي والعالمي. ما يجعله واحداً من المراجع التي يؤخذ بها لدى محاولة معرفة أسرار الحقبة المشار إليها.